

الباب التاسع عشر

الحملة الصحية ضد التدخين . .

كانت مجرد فكرة، مطروحة للبحث والتداول، تثيرها المشاعر الجياشة، والتمنيات الطيبة، ومع الزمن تحولت هذه الأحاسيس الشاعرية إلى حقيقة واقعية، تمثلت في الندوة العربية الأولى ضد التدخين التي عقدت في عمان، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية في ١١ نيسان ١٩٨٨ حيث شاركت فيها وفود من عشر دول عربية وهي: الأردن، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، تونس، سوريا، العراق، فلسطين، مصر، المغرب، والمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى وفدي مجلس وزراء الصحة العرب ومنظمة الصحة العالمية.

وهذه الندوة كانت حلماً أيضاً لمناهضي التدخين في أوروبا والعالم الغربي، فمنذ أن نشرت كلية الأطباء الملكية البريطانية في عام ١٩٦٢ تقريرها «التدخين والصحة» أصبح الموقف أكثر وضوحاً. . . وابتدأ البعض بالتصريح بأنه إذا كان التدخين عادة مرذولة وبهذا القدر من الخطورة فلماذا لا تفعل الحكومة شيئاً بهذا الخصوص.

وقد مرت في تاريخ العالم شخصيات حاولت مكافحة التدخين، ففي البدء أقدم ملوك إنجلترا على تحريم زراعة التبغ ومنعوا شعوبهم من ممارسة التدخين.

وفي روسيا أمر القيصر (ميخائيل رومانف) بجلد كل إنسان يمارس عادة التدخين، ثم أصبحت العقوبات أشد حيث صدرت الأوامر القيصرية بتحريم التدخين تحريماً قطعياً.

أما رجال الدين المسلمون والمسيحيون فقد حرّموا باديء الأمر

التدخين تحريماً دينياً، وأصدر السلطان العثماني مراد الرابع فرماناً حرم فيه ممارسة التدخين تحريماً شرعياً مستنداً إلى الشريعة الإسلامية حيث اعتبر التبغ مماثلاً للخمر وقيس عليها.

وفي إيران أقدم الشاه على إصدار أحكام الإعدام على المدخنين.

أما البابا (أوربان السابع) فقد أصدر إرادة بابوية عام ١٦٢٤م حرم فيها على أبناء الطائفة الكاثوليكية ممارسة التدخين، كما حرم البابا (أرخين الثالث) دخول المدخنين إلى الكنائس، وأضاف أفراد الطائفة الكلفينية المسيحية إلى الوصايا العشر وصية أخرى وهي: لا تدخن.. هذا ما حصل تاريخياً.

أما في العصر الحديث وبعد انتشار عادة التدخين بشكلها المعروف للناس، وظهر من الأطباء الكبار معارضين لمعت أسماؤهم في هذا المجال نذكر منهم على سبيل المثال العالمان الإنكليزيان (هيل ودول) والدكتور الأمريكي (دورن) الذي أجرى دراساته الشاملة على مائتي ألف مدخن، والأمريكي (التون أوكسفر) الذي شغل مناصب عليا وهامة في عالم الطب، والدكتور (أرنست وندر) الأخصائي بالجراحة الصدرية وغيرهم كثيرون.

وتألفت الجمعيات العالمية التي تدرس أضرار التدخين، وما يتركه من آثار في جسم الإنسان، منها الجمعية الأمريكية للسرطان والجمعية الطبية الأمريكية، ومؤتمر الأبحاث الطبي البريطاني.. وفي سوريا يوجد جمعية مكافحة السرطان.. وجمعية مكافحة السل والأمراض التنفسية.

فمن البدهي بعد كل هذا أن يقوم الناس، سواء المدخنين أو غير المدخنين، بدراسة ومعرفة أضرار التدخين وأخطاره كي لا يستهتر بالموضوع ويعتبر أن تدخين بعض اللقافات أمر لا ضرر منه، لأن الخطر الكامن في التعود على ممارسة التدخين كبير جداً.

وطبعاً لا يقف الموضوع عند هذا الحد، فليس جميع البشر على درجة من الثقافة والإرادة تكفي لمنعهم من ممارسة العادات الضارة، لذلك يجب على المجتمع بكافة أعضائه وهيئاته أن يبذل جهداً في سبيل منع ازدياد نسبة المدخنين بين بني البشر.

وهذا أيضاً واجب الآباء تجاه أولادهم، فعلى الوالدين أن يتوقفا عن التدخين قبل أن يطلبوا من أولادهم عدم ممارسة هذه العادة.. وكذلك الحال بالنسبة للمعلمين والمربين، إذ يتوجب عليهم عدم التدخين على مرأى من التلاميذ كيلا يتندر بهم تلامذتهم مرددين قول الشاعر.. لا تنه عن خلق وتأتي مثله..

ويجب أن يحاولوا وبمختلف الوسائل غرس كراهية التدخين في نفوس تلاميذهم وتسليحهم بالوعي والعلم بما يسببه دخان التبغ من أمراض وآثار على جسم المدخن.

ولا يفوتنا أن نشير إلى مسؤولية الرجال البارزين في المجتمع كالأطباء مثلاً، فكيف يمكن لطبيب مدخن إقناع مريضه بترك التدخين، وماذا يدور في خلد المريض في هذه الحالة.. ويتوجب المطالبة بحقوق غير المدخنين بالتمتع بجو نظيف خالٍ من رائحة التبغ ودخان.. وإذا راجعنا سجلات المحاكم وجدنا أن كل شركات التبغ الكبرى تقريباً كانت في يوم من الأيام مُدعى عليها من قبل لجنة التجارة الفيدرالية.. مثل شركات ب. لويلاد وشركة فيليب موريس، وشركة التبغ الأمريكية وغيرها.. والسبب أنها أعلنت عن منتجاتها مخالفة للحقيقة.. أي اتبعت أسلوب الإغراء من أجل شراء منتجاتها من التبوغ.

لذا يتوجب على الحكومات أيضاً أن توجه المسؤولين عن الإعلام إلى نشر المعلومات المختلفة عن أضرار التدخين ومفاسده.

وإيصال آخر التقارير الطبية عن مضاره إلى شعوبهم، والتركيز على

الدعاية في المجلات الأسبوعية والجرائد اليومية والنشرات العامة والخاصة على كل ما يكشف مضار التدخين وأخطاره .

كما يتوجب على المسؤولين عن الإذاعة والتلفزيون بث برامج تثقيفية وتعليقات علمية موجهة إلى الجيل الثاني بحيث يدرك شبابنا أضرار التدخين، فيقلعون من تلقاء أنفسهم .

واعتقد أن واجب الحكومات والهيئات العامة المختصة بمحاربة التدخين، أن تجري حلقات دراسية وندوات اجتماعية للمدخنين الذين يرغبون بترك هذه العادة ولا يجدون المقدرة على ذلك . على أن تخصص عدة ندوات لمساعدتهم بشتى الوسائل ولإقناعهم بمدى الأذى الذي يحدثه التدخين بأجسامهم، وشد عزائمهم على ترك التدخين .

وعلى الحكومات، إن كانت غير قادرة على منع التدخين ومصانعه، أن تفرض على أصحاب المصانع أن يحسنوا أنواع الفلتر للتخفيف من كمية النيكوتين التي تعبره إلى جسم الإنسان مع الحفاظ على نكهة التبغ التي لا يستغني عنها المدخن، وإجراء دراسات تخفف من أذى الغازات السامة التي يحويها دخان التبغ .

ويجب على الحكومات التقيد بما جاء في توصيات مؤتمر الصحة العالمية WHO حول محاربة التدخين . . وهذه التوصيات هي :

١- تقوية البرامج التعليمية الصحية التي تبحث في مضار التدخين باعتباره جزءاً من التعليم الصحي العام .

٢- رفع نسبة الضرائب المفروضة على السجائر، والحد من الدعاية لها . .

٣- احترام حقوق الذين لا يدخنون في المحلات العامة، ومركبات النقل .

٤- البحث عن مجالات صناعية، أو زراعية مفيدة، كبديل لتشغيل مزارعي التبغ، والعاملين على تصنيعه.

وبناء على هذه الحملات والسعي لتخفيف نسبة المدخنين في العالم.. كان اليوم العالمي الثاني للامتناع عن التدخين ١٩٨٩/٥/٣١ والذي ساهمت فيه دول العالم مجتمعة وهمها الأوحده هو كيف تقوم بتخفيف نسبة المدخنين في العالم..

وبناء على هذا وسعيًا لتحقيق هذا الهدف اتخذت كافة الدول إجراءات مادية ومعنوية كان لها أثر كبير في إقلاع الكثيرين عن التدخين، وكان هذا اليوم يوم فعال في حياة كل الدول والمناطق مثل: الإقليم الإفريقي والإقليم الأمريكي، وإقليم شرق البحر الأبيض المتوسط، والإقليم الأوربي، وإقليم جنوب شرق آسيا، وإقليم جنوب غرب المحيط الهادي.

فقامت كل الوزارات والهيئات في هذه الأقاليم بحملة دعائية واسعة ضد التدخين وفرضت بعض الدول تشريعات خاصة.. ففي أمريكا منع التدخين في الأماكن العامة وخلال رحلات الطائرات الداخلية، وبثت برامج عن مكافحة التبغ..

وفي فرنسا صنعت ألعاب للأطفال تقول: «أنت تدخن وأنا أسعل».

وفي الصين قام غير المدخنين بتنظيم مظاهرة عند سور الصين العظيم، وأصدرت هيئة البريد ظروفًا تذكارية احتفالاً باليوم العالمي للامتناع عن التدخين.

وفي اليابان كانت الشعارات هي: «لا تدخين في المحطات، لا تدخين في القطارات...».

وإجمالاً كانت حملة عالمية واسعة، حققت نتائج جيدة..

ونحن نطمح لأكثر من المؤتمرات والنشرات، نطمح للتشريعات والقوانين الصارمة، والتي ينفذها مسؤولو القانون، لحفظ حقوق الناس في الحفاظ على صحتهم، وإصدار العقوبات بحق المخالفين.. وهذا شيء جيد ما دام القصد منه تكوين مجتمع نظيف خال من الأمراض.. ونناشد كل الشرفاء العقلاء أن يساهموا معنا في تحقيق الصحة للجميع.. وأن تكون أيامنا كلها أيام امتناع عن التدخين حفاظاً على صحتهم وصحتنا..

والعاقِل هو الذي يستمع للنصيحة، ويعتني بصحة مجتمعه.. فهو فرد فيه.. ومجموعة أفراد يكونون هذا المجتمع.. فلم لا يكون مجتمعنا خالياً من سحب الدخان وروائح التبوغ وأصوات السعال ألا يكون مجتمعاً أفضل.. بالتأكيد.. إنها دعوة للجميع، فهل من مجيب؟!
